

كتاب التواريخ

لباولوس أورويسيوس وترجمته الأندلسية

د • عبادة عبد الرحمن كحيلة

مدرس التاريخ الاسلامى

كلية الآداب — جامعة القاهرة

من الأمور التي استرعت أنظار الباحثين — شرقيين وغربيين —
على السنوات الأخيرة ، ما تميزت به الأندلس من خصوصية معينة ،
داخل الاطار العام للحضارة الاسلامية • فقد افترق مسار هذه
الحضارة فى الأندلس عن مسارها فى اقطار اسلامية أخرى غير
الأندلس^(١) •

ولا شك أن التراث الثقفى الذى وقف عليه المسلمون بعد قدومهم
على شبه الجزيرة ، قد لعب دورا وافرا فى طبع الحضارة الاسلامية
بطابع خاص ، من مظاهره أن دخلت اللغة العربية — والعامية الأندلسية
— بعض الألفاظ اللاتينية (أو الرومانشية)^(٢) كما دخلت الشعر العربى

(١) راجع فى هذا الشأن الباب التمهيدى من أطروحتنا لدرجة
الماجستير ، المولودون فى التاريخ الاندلسى منذ الفتح العربى حتى نهاية عصر
الامارة (غير منشورة) جامعة القاهرة ، كلية الآداب ١٩٧٨ ص ٢١ — ٤٧ ،
أحمد مختار العبادى : الاسلام فى أرض الأندلس ، أثر البيئة الأوربية • عالم
الفكر م ١٠ ع ٢ ، ١٩٧٩ ص ٣٤٣ — ٣٩٤ •

(٢) توجد تفصيلات عديدة عن هذا التأثير فى :

Dozy , R; Supplément aux dictionnaires Arabes. Deuxième
Edition. E. J. Brill 1927, Simonet, Francisco Javier : Glosario de voces
Ibéricas y latinas usadas entre los Mozàrabes. Madrid, establecimiento
tipográfico de fortanet, 1888.

بعض التأثيرات المسيحية والأيبيرية القديمة ، نقف على نماذج منها فى شعر ابن دراج (ت ٤٢١ هـ) وابن شهيد (ت ٤٢٦) وابن زيدون (ت ٤٦٣) ، كما نقف عليها أيضا فى شعر الموشحات والأزجال •

ننتقل الآن الى موضوع هذا البحث ، وهو كتاب التواريخ لباولوس أوريوس وترجمته الأندلسية •

(١)

فى مطلع القرن الخامس الميلادى كانت خيل الجرمان تدك أركان الامبراطورية الرومانية فى الغرب ، وفى سنة ٤١٠ م اقتحم القوط يقودهم ألاك Alaricus قصبة هذه الامبراطورية ، ومع أنهم فارقوها بعد قليل ، بل صاروا حلفاء للرومان ومعاهدين Foederati ، الا أن ما أقدموا عليه من تخريب لروما ، كان له أثره الفادح عند المعاصرين ، فلم يكن يتصور أحد مصيرا مثل ذلك لمدينة رومولوس وقيصر واغسطس وقسطنطين •

انصرف عدد من الوثنيين — وكانوا غالب سكان الامبراطورية — فنسبوا الى المسيحية مسئوليتها عما جرى من نكبات لهذه الامبراطورية فى عهدها الأخير^(٣) مما أثار حفيظة أحد أبحار الكنيسة ورجالها المرموقين ، وهو القديس أوغسطين Augustinus^(٤) فوضع كتابه

(٣) استمر هذا الاعتقاد فترة طويلة ، وكان منطلقا لادورد جبون E. Gibbon فى كتابه الشهير عن اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها Decline and fall of the Roman Empire

(٤) عرف عند أهل الأندلس باغشتين واقتشتين ، وذاعت كتبه عندهم ، وترجم بعضها الى العربية ، وفى النص اللاتينى للتقويم القرطبى ، كان النصرارى يحتفلون بعيده فى ٢٨ اغسطس . انظر :

Le calendrier de cordue, Publice par Dozy, Leyde 1874. p. 82.

ويلقبه الامام القرطبى — صاحب التفسير — بزعيم القسيسين ويقول « ان النصرارى معولون على معرفته مقلدون له فى قومه وقعدته » الاعلام بها فى دين النصرارى من الفساد والأوهام . تحقيق أحمد حجازى السقا . القاهرة ، دار التراث العربى ١٩٨٠ ج ١ ص ١٤٣ .

« مدينة الله » De Civitate Dei حوالى سنة ٤١٥ (أو ٤١٦ م) يفند فيه هذا الزعم • وحين وفد عليه فى مستقره بتونس قسيس اسباني يدعى أروسيوس Paulus Orosius عهد اليه استاذة بوضع كتاب فى التاريخ ، يوضح فيه ما صادفه الانسان من نكبات على مر العصور ومن أحداث جسام ، لا شأن للمسيحية بها ، انما هى نشأت لأسباب خارجة عنها •

دعى الكتاب الذى ألفه أروسيوس^(٥) « بكتب التواريخ السبعة فى الرد على الوثنيين » «Historiarum adversum paganos libri septem» تناول فيه تاريخ الانسانية منذ آدم عليه السلام حتى سنة ٤١٦ م ، وهى السنة التى التقى فيها بأستاذه •

يستمد كتاب اورو سيوس أهميته من كونه مصدرا لتاريخ الامبراطورية الرومانية فى مرحلتها المتأخرة ، شأنه فى ذلك شأن كتب يوسبيوس^(٦) Eusebius (ت ٣٤٠ م) وايرونيوس^(٧) Hieronymus وهو القديس جيروم (ت ٤٢٠ هـ) ويوتروبيوس Eutropius (ت حوالى ٣٧٠ م) ، كما يستمد أهميته أيضا من النقول التى وردت فيه عن مؤرخين ضاعت كتبهم بعد ، ولا أدل على أهمية كتاب أورو سيوس ، من أن وصلتنا نحو مائتى نسخة منه •

(٥) توجد ترجمة مختصرة له فى معجم اكسفورد الكلاسيكي Oxford classicil Dictionary. 1949 p. 627 ولا نقف على ترجمة له فى معجم التاريخ الاسباني

Diccionario de Historia de España. Revista ds Occidente, Madrid. 1952.

(٦) عرف عند العرب باوسابيوس القيسراني •

(٧) عرف عند العرب بيرونم الترجمان •

نشرت تواريخ أوروبسيوس فى عصرنا الحديث عدة مرات ،
والنشرة النقدية المعتمدة هى التى قام عليها تسانجما يستر
Carl Zangemeister فى سنة ١٨٨٢ ، ضمن مجموعة Corpus Scriptorum
Ecclesiasticorum Latinorum v. V وترجمه الى الانجليزية
I. W. Raymond ونشرته جامعة كولومبيا فى سنة ١٩٣٦ .

(٢)

بلغت الحضارة الاسلامية فى الأندلس أوجها فى القرنين الرابع
والخامس الهجريين ، أى فى عصر الخلافة الأموية وعصر الطوائف ،
والى جانب ما أبدعه الأندلسيون فى مجالات شتى ، فقد تمت ترجمة
كتاب أوروبسيوس الى اللغة العربية ونقل عنه عدد من مؤرخى الأندلس
وجغرافيين ، ومنهم ابن جليل (ت بعد ٣٨٤ هـ) والبكرى (ت ٤٧٨ هـ)
والحميرى (ت أواخر القرن الثامن هـ) وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) ،
بل نقل عنه أيضا مؤرخ مسلم غير اندلسى هو المقرئى (ت ٨٤٥ هـ) .

والشاهد أن شهرة أوروبسيوس عند المسلمين ، جعلت بعضهم
ينقلون أخبارا عن غيره من المؤرخين القدامى ، ثم يضيفون هذه الأخبار
اليه (٨) .

ورغما عن شهرة أوروبسيوس هذه ، فلم يصل إلينا من ترجمته
العربية سوى نسخة واحدة محفوظة فى مكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك

(٨) راجع المقارنات التى عقدها الاستاذ عبد الرحمن بدوى بين كتاب
أوروبسيوس وبين كتب المسلمين الذين أخذوا عنه وبخاصة ابن خلدون .
فى مقدمة تحقيقه للكتاب . بيروت . المؤسسة العربية للدراسات والنشر
ص ٢١ - ٤٧ .

تحت رقم X. 893. 712. H. قام على نشرها فى سنة ١٩٨٢ الأستاذ
عبد الرحمن بدوى^(٩) .

بمراجعة هذه النشرة نجدها تفتقر عن الأصل اللاتينى ، باختصارها
فى بعض المواضع أو حذف فقرات كاملة ، أو اضافة أخبار من مصادر
أخرى ، لا يشير المترجم اليها ، وتبلغ فى جملتها نحو ثلث حجم الكتاب .
والأهم من ذلك أن المترجم أكمل تاريخ أورو سيوس حتى قبيل مقدم
العرب^(١٠) ، وان فقدت هذه التكملة ، بل فقد جزء من النص الأصلى ،
لأن النسخة التى لدينا تقف عند سنة ٣٧٨ م^(١١) .

وقد بدأ الطابع الأندلسى واضحا على هذه الترجمة ، فعرب اسم
أورو سيوس الى هروشيوش (وهروشيوش)^(١٢) ، كما يبدأ الكتاب
بالبسملة^(١٣) ، وتختتم أجزاءه بحمد الله تعالى وطلب الرحمة لمؤلفه .

(٩) وهو تحقيق جيد بذل صاحبه فى سبيله جهدا فائقا ، وعاد النص
الأصلى ، لكن تنقصه بعض الشروح ، كما تنقصه أيضا كشافات تعين
الباحثين .

(١٠) ورد فى أول الجزء السابع من الترجمة العربية ما يأتى « الجزء
السابع فيه أخبار املاك (ملوك) الرومانيين القياصرة ، من زمان قيصر
إكتيان (يقصد إكتافيانوس) الذى فى دولته ولد المسيح الى الزمان الذى
كتب فيه هذا الكتاب ، وما أضيف اليه من بعد من دول القوط بالأندلس ،
الى دخول طارق عليهم أبوابه أربعة عشر » .

(١١) وهى السنة التى قتل فيها الامبراطور والنس
Valens على أيدي القوط .

(١٢) كما عرب اسمه أيضا الى اهروشيوش ، هروشيوس ، هروسيوس
أورو شيوش ، أروشيوش ، وغير ذلك ، ويلاحظ ابدال السين شينا على
عادة الأندلسيين .

(١٣) ص ٥٣ .

ويرد تعبير جوف^(١٤) بمعنى شمال ، وقبلة^(١٥) بمعنى جنوب ،
 وفحوص^(١٦) بمعنى سهول ، وسلاطين^(١٧) بمعنى ملوك Reges
 ومجوس^(١٨) بمعنى وثنيين Pagani ومصحف^(١٩) بمعنى سفر أو
 كتاب ديني . بل ترد أبيات شعرية في صياغة عربية ، تعليقاً على ما ورد
 بشأن صلب المسيح عليه السلام^(٢٠) ، وليس لهذه الأبيات أصل في النص
 اللاتيني . ويذكر من نسل سام بعض من ليس لهم ذكر في سفر
 التكوين ، مثل قحطان وعرب اليمن^(٢١) ، ويمسك في الوقت نفسه عن
 تعيين الذبيح ، ويدعو إبراهيم عليه السلام بالخليل^(٢٢) .

الطريف أيضاً أنه يعرب كمبانيا Campania في إيطاليا
 بالقبانية^(٢٣) وهو الاسم الذي كان يطلق على كورة قرطبة^(٢٤) ، كما
 يعرب بلاد ما بين النهرين Mesopotamia بالكوفة^(٢٥) . ويدعو
 الضرائب الغير الشرعية التي منعها الامبراطور أنطونينوس بيوس
 Antoninus pius بالمغارم والوظائف^(٢٦) ، بل يدعو رجال الجيش
 Militaria بأهل الديوان^(٢٧) ، والمناصب الحكومية بالخطط^(٢٨) ،

(١٤) ص ٥٨ .

(١٥) ص ٦٠ .

(١٦) ص ٦١ .

(١٧) ص ١٦٧ .

(١٨) ص ٤٢٢ .

(١٩) ص ٢٧٩ .

(٢٠) ص ٤٢١ .

(٢١) ص ٨٧ .

(٢٢) ص ٩١ .

(٢٣) ص ٢٦٠ .

(٢٤) Campiña وقد أبدل الأندلسيون كعادتهم الميم نونا .

(٢٥) ص ٤٣٧ .

(٢٦) ص ٤٣٨ .

(٢٧) ص ٤٤٧ .

(٢٨) ص ٤٦٢ وقد جرت عادة الأندلسيين على أن يقولوا خطة
 الوزارة ، خطة القيادة ، خطة البريد ، خطة الخيل ، خطة الرد ، الى غير
 ذلك .

ونقيب العامة Tribuni plebi بصاحب خراج الرومانيين^(٢٩)
ويستخدم تعبير اطباء^(٣٠) ، ويصد به استمالة • ويصل به الأمر الى
حد الخطأ فيعرب الكلدانيين Chaldaei بالقضاعيين^(٣١) •

(3)

ننتقل الآن الى قضية القضايا ، وهي متى تمت ترجمة كتاب
أوروسيوس ؟ ومن الذى قام على هذه الترجمة ؟

فى سنة ٣٣٧/١٩٤٨ - ٩٤٩ (أو ٣٣٦/٩٤٧ - ٩٤٨)^(٣٢) أرسل
ملك الروم ويدعوه ابن جلجل^(٣٣) بارمانيوس^(٣٤) - الى عبد الرحمن

(٢٩) ص ٣٣٢ - ٣٣٣ •

(٣٠) ص ٤٥١ ، ويرد تعبير اطباء اليمن على لسان أبى عثمان
عبيد الله بن عثمان مولى بنى أمية ، فى حديثه عن دخول عبد الرحمن بن
معاوية فى سنة ٧٥٩/١٣٨ فيقول : « فانقطع رجالونا من مضر وزبيعة
بأسرها ، ورجع رأينا الى اطباء اليمن وادخالهم فى رأينا » أخبار مجموعة
فى فتح الأندلس • نشر لانيونتى اثنى الكانترا ، مدريد ١٨٦٧ ص ٧٤ •

(٣١) ص ١٦٨ •

(٣٢) ابن خلدون : العبر • القاهرة ، بولاق ، المطبعة الكبرى ١٢٨٤ هـ
ج ٤ ص ١٤٣ •

(٣٣) ابن أبى أصبغة : عيون الانباء فى طبقات الأطباء • تحقيق نزار
رضا • بيروت • مكتبة الحياة ١٩٦٥ ص ٤٩٤ •

(٣٤) يقصد رومانوس الاول ليكابينوس Romanus Lecapenus
٩٢٠ - ٩٤٤ وهو خطأ لأن الامبراطور المعاصر لارسال الكتابين هو
قسطنطين السابع : بورفيريوجينيتوس Constantinus Porphyrogenitus
٩١٣ - ٩٥٩ ، وكان زوجا لابنة رومانوس ، والامبراطور الشرعى ،
لكن رومانوس استبد دونه بالسلطة وقاسمه لقبه من سنة ٩٢٠ الى سنة
٩٤٤ • وربما دفع ابن جلجل الى هذا الخلط شهرة رومانوس ، وما أحرزه
من أمجاد على المستوى الثقافى بتصنيفه عدة كتب ، وبخاصة فى التاريخ ،
ونهبه بالحركة العلمية فى عصره • راجع :

Ostrogorsky; George : History of the Byzantine State trans by
Joan Hussey. Rutgers University Press, 1957. pp. 234-248.

الناصر ٩١٢/٣٠٠ — ٩٦١/٣٥٠ بكتاب الحشائش^(٣٥) لديسقوريدس Dioscurides ومعه كتاب هروشيوش • ولما لم يكن فى الأندلس من يحسن اليونانية ، استجاب الملك لطلب الخليفة وبعث بنقله الراهب الذى قام بالعبء الرئيسى فى ترجمة كتاب ديسقوريدس واعانه نفر من المسلمين ، أحدهم على دراية باليونانية ، وأضحت هذه الترجمة معتمد الأندلسيين ، وحلت محل ترجمة مشرقية ، تنسب الى اصطفن ابن بسيل ، راجعها حنين بن اسحق •

لا يهمننا فى هذا المقام كتاب ديسقوريدس ، انما يهمننا كتاب هروشيوش ، ويورد ابن جلجل على لسان ملك الروم « وأما كتاب هروشيوش ، فعندك فى بلدك من اللطينيين من يقرأه باللسان اللطينى ، وان كشفتهم عنه نقلوه لك من اللطينى الى اللسان العربى » •

مفهوم رواية ابن جلجل ان كتاب هروشيوش ، ترجم فى فترة ما بعد وصوله الى الأندلس واستفاد منه ابن جلجل نفسه ، لكنه لا يصرح بشخصية المترجم • وقد وصلتنا هذه الترجمة وكان قمينا بها أن تحل المشكلة ، لولا أن صفحة العنوان منزوعة منها ، كما ان الصفحات الأخيرة منزوعة أيضا ، وربما ورد فى حردة المتن ما يشفيها •

نمضى بالبحث خطوة أخرى فيجبها نسان لابن خلدون •

فى معرض حديثه عن بنى اسرائيل وتاريخهم ، يشير ابن خلدون^(٣٦) الى مصادره كالتبرى والمسعودى وصاحب حماة (يقصد أبا الفدا) « وما نقله أيضا هروشيوش مؤرخ الروم فى كتابه الذى ترجمه للحكم المستنصر من بنى أمية قاضى النصارى وترجماتهم بقرطبة وقاسم بن أصبغ » وبعد عديد من الصفحات يقول^(٣٧) « وخبر

(٣٥) او الادوية المفردة Materia Médica .

(٣٦) المصدر نفسه ص ٨٨ .

(٣٧) ص ١٩٧ .

هروشيوشس مقدم ، لأن واضعيه مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الاسلام
بقرطبة ، وهما معروفان ووضعوا الكتب .»

نخرج من نصي ابن خلدون بمعلومات ثلاث ، فالترجمة تمت بتوجيه
من الحكم المستنصر ٩٦١/٣٥٠ - ٩٧٦/٣٦٦ ، وقام عليها اثنان من
المسلمين ، شغل أحدهما منصب قاضي النصارى ، أما الآخر فهو
قاسم بن أصبغ .

أما عن المعلومة الأولى ، فيغلب انها صحيحة ، لما عرف عن
الحكم - أغسطس الأندلس - من حب للكتب وشغف بجمعها ، وتشجيع
على تصنيفها ، ومشاركته نفسه في ذلك .

يقول ابن حيان^(٣٨) - مؤرخ الأندلس الكبير (ت ٤٦٩ هـ)
« ولم يسمع في الاسلام بخليفة ، بلغ مبلغ الحكم في اقتناء الكتب
والدواوين ، وايثارها والتهمم بها . أفاء على العلم ، ونوه بأهله ،
ورغب الناس في طلبه ، ووصلت عطاياه وصلاته الى فقهاء الأمصار
النائية عنه » .

المعلومة الثانية ، وهي أن أحد المترجمين كان مسلما ، يشغل
منصب قاضي النصارى لا نستطيع أن نتقبلها كما هي ، فلم تجر العادة
في الأندلس على ذلك ، لأن النصارى كان لهم قاضيه الخاص بهم من
أهل دينهم ، ويدعى قاضي النصارى أو قاضي العجم ، وعرف في
اللاتينية باسم Censor أو Judex^(٣٩) وصار في القشتالية

(٣٨) ابن الأبار : الحلة السراء . تحقيق حسين مؤنس . القاهرة ،
الشركة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٦٣ ج ١ ص ٢٠١ .

(39) Lévi-Provençal, E : Histoire de l'Espagne Musulmane, Leide
Brill, 1950. vol III. p. 219.

Alcalde (٤٠) ، وكان تعيينه وعزله من شأن الخليفة ، لكنه يحكم بين قومه بما جاء فى كتاب القوانين Liber judiciorum الذى عرف فيما بعد بـ Furero Juzgo (٤١) . وقد عرف ابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) هذا الكتاب وأشار اليه فى الفصل ، ويتحدث عن أحد هؤلاء القضاة — وقد عاصره — وكان يتكرر عليه بمجلسه ، وعارضه مرة فى بعض ما ورد فى القرآن الكريم عن أهل الجنة وفند ابن حزم زعمه بنص الانجيل نفسه (٤٢) .

ولا يتناقض اختصاص النصارى بقاض من أهل دينهم مع سماح الدولة لهم بأن يتقاضوا اذا هم شاءوا الى قاضى المسلمين ، بل والزامهم بذلك اذا كان أحد طرفى الخصومة مسلما ، أو كان الأمر يتصل بحد أو قصاص أو تعزير (٤٣) .

(40) Simonet : Historia de 'os Mozarabes de España. Madrid, Est Tip de la viude è Hijos de m Tello 1897-1903 p. 108.

(41) Lèvi-Provençal : l'Espagne Musulmane au xème siècle. Paris Larose, 1932. p. 37.

وقد وضع الارك الثانى نواة هذا الكتاب فى سنة ٥٠٦ هـ باسم Breviarium Alarici ودعى فيما بعد بمختصر الارك وبعد عدة ذيول وشروح دعى بكتاب القوانين واشتهر بقانون ركسفت lex Romana Reccesvindiana

راجع :

O'callaghan, J. F. A history of medieval Spain. Cornell univ. Press, 1975, p. 40, Cambridge medieval history. 1936 vol. II p. 178.

(٤٢) القاهرة ، الخانجى ، ١٣٢٠ هـ ج ٢ ص ١٠٨ — ١٠٩ ، وانظر أيضا ج ٢ ص ٣ ، المحلى . تحقيق أحمد محمد شاكر . القاهرة ، ادارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ ج ٩ ص ٣٠٧ — ٣٠٨ .

(٤٣) راجع فى هذا الشأن وثائق فى احكام أهل الذمة فى الاندلس مستخرجة من الاحكام الكبرى لابن سهل (ت ٤٨٦ هـ) تحقيق محمد عبد الوهاب خلاف . القاهرة المركز العربى الدولى للاعلام . ١٩٨٠ . والمعيار المغرب للونشريشى (ت ٩١٤ هـ) مخطوط بدار الكتب رقم ٩٠ فقه مالك م ١ ورقة ١٧٣ ، ب ١٧٤ م ١٠٥ ورقة ٢٠٨ أ وانظر اطروحتنا لدرجة الدكتوراه « المعاهدون فى الاندلس » جامعة القاهرة ١٩٨٣ ص ١٤٤ — ١٤٦ .

ترفض اذن المعلومة الثانية ، وننتقل الى المعلومة الثالثة وهى الخاصة بالمرجم الآخر قاسم بن أصبغ ، ونراجع أقدم كتب التراجم العامة بالأندلس ، وأشهرها جميعا . وهو تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضى (ت ٤٠٣ هـ) .

لدينا ثلاثة من الأندلسيين عاشوا فى القرن الرابع الهجرى ، ودعوا بالاسم نفسه أو لهم قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح ابن عطاء البيانى^(٤٤) ، مولى الوليد بن عبد الملك ، وقد ولد فى سنة ٢٤٤/٨٥٩ ومات فى سنة ٣٤٠/٩٥١ . سمع بقرطبة من بقى بن مخلد وأبى عبد الله الخشنى وابن وضاح وأصبغ بن خليل وغيرهم ، ورحل الى المشرق ، فسمع بمكة والكوفة وبغداد ومصر والقيروان . وكان من جملة رجاله الترمذى وابن أبى خيثمة وعبد الله بن أحمد بن حنبل وعبد الله بن مسلم بن قتيبة ومحمد بن يزيد المبرد وأحمد بن يحيى ابن يزيد ثعلب ، وبعد عودته الى الأندلس ، سمع منه الخليفة عبد الرحمن الناصر وولده الحكم .

يستطرد ابن الفرضى فيقول « وطال عمره فسمع منه الشيوخ والكهول والأحداث ، وألقى الصغار والكبار فى الأخذ عنه ، وكانت الرحلة فى الأندلس اليه ، وفى المشرق الى أبى سعيد بن الاعرابى ، وكانا متكافئين فى السن » .

« وكان قاسم بن أصبغ بصيرا بالحديث والرجال ، نبىلا فى النحو والغريب والشعر ، وكان يشاور فى الأحكام » .

الثانى هو قاسم بن أصبغ بن أبى الأسود بن عبد الواحد من أهل باجة « وكان من أهل الرواية والحديث ، وكان أدبيا بليغ اللسان جيد القلم ... »^(٤٥) .

(٤٤) الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٧
تر ١٠٧٠ .
(٤٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٦٧ تر ١٠٧١ .

الثالث حفيد للأول وهو قاسم بن محمد بن قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف بن ناصح بن عطاء البياني (ت ٩٩٨/٣٨٨) « روى عن جده قاسم بن أصبغ ، وكان أدبيا حسن الخلق حلما استقصاه الحكم أمير المؤمنين رحمه الله على كورة تدمير ، واستقصاه المؤيد بالله أمير المؤمنين أعزه الله على مدينة الفرج ، وقد سمع منه جماعة من الناس ، وكتبت أنا عنه قديما وأجاز لى جميع ما رواه عن جده » (٤٦) .

نستبعد مبدئيا قاسما الثانى ، فترجمته عند ابن الفرضى عامة وقصيرة ، ولا يهتم بذكر شيوخه ولا تلاميذه ، ولا كتب صنفها ، كما لا يهتم أيضا بتحديد سنة وفاته ونستبعد أيضا قاسما الثالث ، فترجمته قصيرة ، ولا يذكر من شيوخه غير جده ، أما تلاميذه ، فجماعة من الناس دون تحديد ، ورغما عن أن ابن الفرضى سمع منه وأجازه ، فإنه لا يشير إلى كتب صنفها ، ناهيك عن كتاب ترجمه أو شارك فى ترجمته .

المرشح الوحيد ليكون مشاركا فى ترجمة كتاب أورويسوس أو مراجعته هو قاسم الأول ولنا عليه عدة ملاحظات .

١ - لم يرد فى أى من كتب التراجم الأندلسية^(٤٧) وغير الأندلسية ذكر لدور قام به فى ترجمة كتاب هروشيوش ، وكان قمينا بهذه الكتب أن تنوه به ، لما كان لقاسم من شهرة فائقة فى عصره وما تلاه من عصور^(٤٨) .

(٤٦) المصدر نفسه ج ١ ص ٣٧٠ تر ١٠٧٩ .
(٤٧) مثل الحميدى : جذوة المقتبس القاهرة ١٩٦٦ . ص ٣٣٠ - ٣٣١ تر ٧٦٩ ، الضبى : بغية الملتبس . القاهرة ١٩٦٦ . ص ٤٤٧ - ٤٤٨ تر ١٢٩٨ ، ابن فرحون : الديباج المذهب . القاهرة ١٩٧٢ ج ٢ ص ١٤٦ ، المقر : نفح الطيب . تحقيق احسان عباس . بيروت ١٩٦٨ ج ٢ ص ٤٧ - ٤٩ تر ١٤ ، السيوطى : بغية الوعاة . القاهرة ١٩٦٤ ج ٢ ص ١٣١ .

(٤٨) خصوصا وان هذه الكتب تتحدث عن درايته الواسعة بعلم التاريخ . يقول ابن الفرضى « وانصرف قاسم بن أصبغ الى الاندلس بعلم كثير ، ومال الناس اليه فى تاريخ أحمد بن زهير وكتب ابن قتيبة ، وكانت الموردة عليه فى هذه الكتب دون صاحبيه محمد بن أيمن وابن ابى الأعلى » .

٢ — بل ان ابن حزم^(٤٩) — وهو العالم الكبير الواسع الثقافة الملم بتراث اسبانيا القديم وتراث المسيحية — لا يشير الى ذلك ، عندما تعرض لفضائل قومه ومآثرهم فى رسالته المشهورة •

٣ — لا يرد فى كتب التراجم الأندلسية حديث عن معرفة قاسم باللغة اللاتينية من قريب ولا من بعيد ، وكان جديرا بها هذا الحديث ، لأنها أوردت أخبارا عن معرفة غيره من علماء الأندلس بها^(٥٠) •

٤ — والأهم من ذلك أن قاسما مات فى سنة ٣٤٠ هـ عن سن عالية (٩٦ سنة) •

ويعلق ابن الفرضى الذى عاش فى مرحلة قريبة منه « وكان متمتعا بذهنه لا ينكر عليه شئ الا النسيان خاصة ، الى ذى الحجة سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة (٩٤٩ م) ومن هذا التاريخ تغير وحال ذهنه الى أن مات » •

معنى ذلك أن قاسم بن أصبغ ضعف نشاطه الى حد كبير قبيل ورود كتاب أوروسيوس ، الى الأندلس ، ثم توقف هذا النشاط تماما لدى وروده •

لم تحل المشكلة اذن • ونعاود قراءة نصى ابن خلدون ، ونحاول أن نعرض لآراء من سبقنا اليهما •

(٤٩) رسالته فى تفصيل الأندلس ، وأورد نصها المخرى فى نفحه ج ٣ وورد ذكر قاسم بها ص ١٦٩ ، ١٧٤ •

(٥٠) مثل القاضى سليمان بن أسود الذى ولى قضاء الأندلس مرتين فى عهده الأمير محمد ٨٥٢/٢٣٨ — ٨٨٦/٢٧٣ • الخشنى : قضاة قرطبة • الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٦ ص ٨٠ • كما كان الأمير عبد الرحمن الأوسط ٨٢٢/٢٠٦ — ٨٥٢/٢٣٨ يعرفها أيضا • الزبيدى : طبقات النحويين واللغويين • القاهرة ١٩٥٤ ص ٢٨٧ •

يعد المستشرق الايطالى ليفى ديلا فيدا Georgio levi della vida أول من تناول هذه المشكلة فى عام ١٩٥١^(٥١) ، ثم عاد وتناولها مع قدر من التفصيل فى عام ١٩٥٤^(٥٢) ويلاحظ أنه :

١ — اذا كان خبر ارسال كتاب ديسقوريدس الى الأندلس ممكناً ، فان خبر ارسال كتاب اوروسيوس بعيد ، لأنه من المستبعد وجود مخطوطات لاتينية فى الدولة البيزنطية فى القرن العاشر •

٢ — يصعب أن يقوم قاسم بن أصبغ بدور فى نقل كتاب اوروسيوس الى العربية بعد سنة ٣٣٧ هـ ، بسبب تغير ذهنه ، ولذا يرجح أن هذه الترجمة ، تمت فى فترة مبكرة قبل ورود الكتاب الى الأندلس — اذا كان قد ورد — ومن نسخة كانت موجودة هناك •

٣ — تحدد عمل قاضى النصرارى فى نقل الكتاب من اللاتينية الى العربية ، وتحدد عمل قاسم بن اصبغ فى الصياغة العربية •

(51) La tradizione araba della storia di orosio. miscellanea G. Galbiati, III milano. 1951. pp. 185-203.

(52) La Tradizione araba della storia di orosio, Al-Andalus vol XIX, Fasc 2 pp. 257-265.

وقد تعرض لهاتين الدراستين فؤاد سيد فى مقدمة تحقيقه لكتاب ابن جليل : طبقات الأطباء والحكماء . القاهرة ١٩٥٥ ص ل — لب ، حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الاندلس . مدريد ١٩٦٧ ص ٣٢ — ٣٩ ، عبد الرحمن بدوى فى مقدمة تحقيقه لكتاب اوروسيوس ص ١٧ — ٢٠ .

Van Koningsveld; p. Sj : Latih Arabic glossary of the Leiden university library leiden 1977 p. 56.

٤ - ويرجح أن قاضى النصارى هو حفص بن البر أو الوليد ابن خيزران (خيزون) ويدعوه ابن خلدون^(٥٣) بالوليد بن مغيث ، والأخير كان معاصرا للحكم المستنصر .

يلاحظ أن ليفى ديلا فيدا فى سعيه للالتفاف حول نص ابن خلدون ، ينحو نحواً توفيقياً ، لكننا لا نستطيع أن نتقبل رأيه كما هو ، ففيما عدا النقطة الأولى الخاصة بورود نسخة كتاب أوروبسيوس أو عدم ورودها ، فإن ابن جلجل - وهو الكاتب المعاصر - الذى طالع النسخة العربية من الكتاب لا يشير الى ترجمة مبكرة له ، أما عن مشاركة عالم مسلم أندلسى فى هذه الترجمة ، فأمر لا نجد له مثيلاً ، على الأقل خلال القرن الرابع الهجرى ، وبخصوص تحديد هوية قاضى النصارى ، فلا توجد نصوص قوية ، يستند اليها ليفى ديلا فيدا . ولنا عود الى هاتين النقطتين .

وفى عام ١٩٥٥ نشر الاستاذ فؤاد سيد تحقيقاً لكتاب ابن جلجل « طبقات الأطباء والحكماء » ، وقد قبل بمعظم ما جاء به ديلا فيدا ، لكنه يضيف أن الترجمة تمت فى سنة ٣٣٦ أو ٣٣٧ ، أى عقيب وصول الكتاب ، وقبل أن يتغير ذهن قاسم بن أصبغ مباشرة ، وقد سبق فى ذلك ترجمة كتاب ديسقوريدس التى تمت فى سنة ٣٤٠ هـ لأن اللاتينية كانت أيسر فى الترجمة من اليونانية لشيوعها عند أهل الأندلس^(٥٤) .

على أن ما يذهب اليه فؤاد سيد لا يحل المشكلة ، لأنه حتى مع التسليم بأن الترجمة تمت عقيب وصول الكتاب مباشرة ، فإن الضعف كان قد أصاب قاسم بن أصبغ الذى تجاوز فى ذلك الحين عتبة التسعين .

ووجد رأى ديلا فيدا التأييد نفسه من الاستاذ حسين مؤنس فى كتابه الذى أصدره فى سنة ١٩٦٧ بعنوان « تاريخ الجغرافية

(٥٣) المصدر نفسه ص ١٤٥ .

(٥٤) ص لب من المقدمة .

والجغرافيين فى الأندلس » ويضيف مؤنس معلومة جديدة ، وهى أن أحمد بن محمد الرازى المعروف بالتاريخى (ت ٣٤٤ هـ) وهو تلميذ لقاسم بن أصبغ أخذ جغرافيته عن هروشيوش ، مع قدر من التطوير يتلاءم مع الظروف التى جددت بمقدم المسلمين^(٥٥) .

نرى من ناحيتنا أن الربط بين الرازى — عبر قاسم بن أصبغ — وبين أروسيوس ليس له ما يبرره ، ونرجح أن معلومات الرازى الجغرافية منقولة من مصادر أخرى غير أروسيوس ، أو غير الترجمة الأندلسية له . ونفصل ذلك بعد .

أخيرا فان هؤلاء — ليفى ديلافيدا ، فؤاد سيد ، حسين مؤنس — لم يعطونا رأيا محددًا فى نص ابن خلدون القائل بأن مترجمى كتاب أروسيوس كانوا من المسلمين .

فى عام ١٩٨٢ صدرت الترجمة العربية من كتاب أروسيوس بعنوان « تاريخ العالم » ويرفض المحقق الفاضل الاستاذ عبد الرحمن بدوى^(٥٦) نص ابن خلدون لأن قاضى النصارى ، لا بد وأن يكون خصرانيا ، ويشير الى واحد من كبار النصارى المعاصرين وهو أصبغ ابن عبد الله بن نبيل الجاثليق ، وربما يكون ابن خلدون قدسها ، فكتب اسمه محرفا ، بسبب شهرة قاسم بن أصبغ وسرعة وروده على الذاكرة وينتهى باننا لانعرف حتى الآن من هو الذى ترجم كتاب أروسيوس الى العربية^(٥٧) .

وثمة رأى جدير بالدراسة ، أتى به باحث هولندى هو فان

(٥٥) ص ٣٩ وما بعدها .

(٥٦) ص ١٠ — ١٥ من المقدمة .

(٥٧) يرى بدوى أيضا انه اذا كان ثمة قاسم بن اصبغ شارك فى الترجمة ، فهو قاسم الثالث (ص ١٣ من المقدمة) وهو رأى لا نوافقه عليه ، راجع ما سبق وذكرناه بخصوصه .

كوننجنسفلد^(٥٨) فى أطروحته لدرجة الدكتوراه من جامعة ليدن فى سنة ١٩٧٦ ، فيدعى ان الكتاب كله من ترجمة قاضى النصارى وحده ودليله •

١ — من الغريب أن يتحدث ابن خلدون عن مترجمين ، فيذكر مهنة أحدهما دون اسمه واسم الآخر دون مهنته •

٢ — ابن جلجل يلمح — من خلال رسالة ملك الروم الى الخليفة الناصر — بأن ترجمة الكتاب من نصيب الدوائر النصرانية التى لها دراية باللاتينية •

٣ — الأهم من ذلك كله ان النص الأول لابن خلدون ورد فى مخطوط العبر بليدن^(٥٩) وفى مخطوطه الآخر بالمتحف البريطانى^(٦٠) كالآتى « وما نقله أيضا هروشيوش مؤرخ الروم فى كتابه الذى ترجمه للحكم المستنصر من بنى أمية قاضى النصارى وترجماتهم بقرطبة قاسم ابن أصبغ » • فلا توجد واو عطف سابقة لقاسم بن أصبغ ، وذلك بخلاف طبعة بولاق ، وبذا يصير لدينا مترجم واحد لا مترجمان •

فى تقديرنا أن رأى الباحث الهولندى يجعلنا على أول الطريق لاستكشاف شخصية المترجم أو المترجمين لكتاب اوروسيوس ، رغما عن أنه يطرح هذا الرأى على نحو عام ، بحكم أن قضية هذا الكتاب قضية جانبية فى أطروحته •

بيد أن هذا الرأى لا يحسم المشكلة تماما ، وربما لم يكن الخطأ فى طبعة بولاق وانما فى مخطوطى ليدن والمتحف البريطانى ، ثم انه مع

(58) Op. cit. pp. 57-59.

Cod. or. 1350.

(٥٩) ورقمه

Add. 23. 271.

(٦٠) ورقمه

التسليم برأى الباحث ، فانه لا يحل مشكلة النص الآخر لابن خلدون ،
كما انه ليس لدينا معلومات عن قاض نصرانى يدعى قاسم بن أصبغ •

ونعيد ترتيب الأوراق •

(5)

١ — نستبعد بداءة دورا لقاسم بن أصبغ فى ترجمة كتاب
أوروسيوس لأنه لم يكن يعرف اللاتينية ، ونستبعد أيضا مراجعته
لصياغة العربية فى سنة ٣٣٦ (أو ٣٣٧) لأنه وان لم يتغير ذهنه حتى
ذلك الحين ، الا انه كان شيخا كبيرا تجاوز التسعين من عمره وكان قد
ضعف نشاطه •

وبذا يسقط احتمال أن يكون قاسم بن أصبغ مترجما لكتاب
أوروسيوس أو مراجعا له •

٢ — ولا مجال للتعسف والربط بين الرازى^(٦١) وبين كتاب
أوروسيوس عبر قاسم بن أصبغ — والذي أخذ عليه الرازى — فالرازى
ولد فى سنة ٢٧٤/٨٨٨ ومات فى سنة ٣٤٤/٩٥٥ ، أى أنه بلغ أوج
نشاطه قبل ورود كتاب أوروسيوس بسنوات طويلة ، أنشأ خلالها كتبه
التاريخية ، هو اذا كان قد أخذ عن قاسم بن أصبغ ، فان كثيرا من أعلام
عصره أخذوا عنه ، ثم ان الرازى لا يشير فى كتابه ولا فى النقول
لأخذة عنه الى أوروسيوس •

(٦١) راجع فى ترجمته ابن الفرضى : المصدر نفسه ج ١ ص ٤٢ تر
١٣٧ ١٣٧ وكذلك الحميدى جذوة المقتبس : ص ١٠٤ تر ١٧٥ • وقد ترجم
تاريخ الرازى الى البرتغالية (ربما فى أوائل القرن الرابع عشر) والى
الاسبانية فى سنة ١٣٤٤ على يدى خيل بريث واشتهر باسم La Cronica
del Moro Rasis وضاع أصله العربى راجع :

Diccionario de historia de España, tomol p. 813.

وإذا كان مؤنبي يستند الى بعض أوجه التشابه بين جغرافية الرازي وبين جغرافية أروسيوس ، من حيث تقسيم الأندلس (أو إسبانيا) الى اندلسيين أو (اسبانيّين) فان تقسيم الرازي من منطق جغرافى ، فى حين أن تقسيم أروسيوس من منطق سياسى ، وجغرافية الأندلس لا تفوز من أروسيوس (الترجمة الأندلسية) بأكثر من خمسة عشرة سطرا^(٦٢) ، ولا تفوز من أروسيوس (الأصل اللاتينى) بأكثر من سبع عشرة سطرا^(٦٣) ، لكنها فى المقرئ^(٦٤) — وهو ينقل عن الرازي — ثلاثة وثلاثون سطرا . وإذا كان الرازي — وهو مؤرخ — ينقل عن أروسيوس — وهو مؤرخ مثله — فقد كان أخرى به أن يركز على التاريخ ، نلاحظ فى النقول عن الرازي — فى المقرئ مثلا^(٦٥) — عدم وجود هذا التأثير ، فأخبار الأندلس فى عهد اكتيان (يقصد أكتافيانوس) لا نجد لها مقابلا فى الترجمة الأندلسية لأروسيوس .

وإذا كان الرازي قد تأثر بأروسيوس أو نقل عنه ، فمن الممكن أن يكون ذلك قد تم من خلال نصارى شبه الجزيرة المستعربين ، الذين كانوا على معرفة بكتاب أروسيوس لشهرته ، وليس من خلال النقل من الترجمة العربية .

وعلى ذلك لا يكون الرازي — كما يذهب مؤنس — هو أول من استفاد من أروسيوس وإنما هو ابن جليل — على نحو مبتسر — ويبدأ النقل عن أروسيوس بوضوح فى مرحلة متأخرة نسبيا ، أبرز ممثليها البكرى (ت ٤٨٧/١٠٩٤) .

وبذا يسقط أيضا احتمال أن يكون الكتاب قد ترجم فى وقت مبكر .

(٦٢) ص ٦٧ — ٦٨ .
 (٦٣) راجع نشرة تسانجمايستر الكتاب الأول الفقرة ٣ بنود ٦٩—٧٤ .
 (٦٤) أصدر نفسه ج ١ ص ١٢٩ — ١٣١ .
 (٦٥) المصدر نفسه ج ١ ص ٤٨١ .

٣ — كما نستبعد دورا لأحد آخر من المسلمين الأندلسيين فى ترجمة كتاب أوروسيوس وهو أمر نجد مشابها له فى المشرق ، اذ كان يضطلع بمهمة الترجمة عن اليونانية قوم نصارى من أصول سريانية أو رومية على نحو أساسى • والدور الذى نهض به عريب بن سعد (ت ٣٦٦ هـ) — وهو مسلم من أصل نصرانى — فى التقويم القرطبى يتحدد فى كتابة النص العربى ، فى حين نهض ربيع بن زيد الأسقف النصرانى بكتابة النص اللاتينى ، أو انه Rec emundo كتب نصا عربيا ترجم بعد ذلك الى اللاتينية ، ويتفوق هذا النص فى حجمه على النص العربى •

٤ — ولا يجوز أيضا أن يراجع عالم مسلم ثقافته تدور على نحو أساسى فى مجال العلوم الاسلامية نصا تاريخيا ذا طبع نصرانى ، من انشاء حبر نصرانى ، أهداه الى حبر نصرانى آخر أكبر منه ، بهدف خفى مسئولية النصرانية عن زوال الامبراطورية الرومانية ، وغصت هذه الترجمة بنقول عديدة ، لم تكن موجودة فى الكتاب أصلا ، وبعضها عن يوسابيوس القيسراني والقديس جيروم ، صاحب الترجمة المشهورة للكتاب المقدس Vulgata وغيرهما من أجبار الكنيسة (٦٦) •

بل ان الصلة التى أضيفت الى كتاب أوروسيوس ، والخاصة

(٦٦) من هذه النقول ما يرد بشأن خلق العالم ، وان الله تعالى خلقه فى ستة أيام ، وارتاح فى اليوم السابع (السبت) ص ٨٢ وهذه المعلومة تختلف عما يعتقد المسلمون وما يرد أيضا بشأن صلب المسيح عليه السلام ، فلم يكن لعالم مسلم أن يتركه كما هو دون تعلية من عنده ، بل أن هذا الخبر يرتبط بأبيات شعرية ينسبها المترجم الى شاعر روماني دعاه مركس ، هذه الأبيات بعضها مكسور ص ٤٢١ — ٤٢٢ وهو أمر غريب على قاسم ابن اصبح أو غيره •

بملوك القوط ، يغلب أنها منقولة عن تواريخ ايسيدور^(٦٧) ، الذى عرفه العرب بأثيزر (ت ٦٣٦ م) وايسيدور هذا كان مطرانا لاسبيلية وسجل قديسا فيما بعد ، وللأسف ضاعت هذه النقول من جملة ما ضاع من النسخة الأندلسية .

٥ — اذن فالذى قام على ترجمة كتاب أورو سيوس ، لابد وأن يكون نصرانيا ، وهذا المترجم ليس بحاجة الى زميل له مسلم ، يعينه فى الترجمة ، فمن النصارى من كان على دراية واسعة باللغة العربية وبراعة فيها ، استلقت نظر ألبرو Alvaro القرطبى قبل نحو مائة عام ، وجعلته يتحسر على انصراف شباب جيله عن لغته اللاتينية الأم الى لغة أخرى أجنبية عنهم^(٦٨) .

٦ — اذا نحن راجعنا تاريخ الأندلس فى عصر الخلافة ، نلاحظ أن البعوث والسفارات الأندلسية الى الممالك النصرانية خارج الأندلس ، بل وخارج شبه الجزيرة ، كان يقوم بها قوم من نصارى الأندلس — قوامس ورجال دين وقضاة — حصرا ، وليس لدينا فى مصادرها اشارة الى أن قام بها مسلمون .

٧ — نفترض أنه كان فى الأندلس نسخ من الأصل اللاتينى لكتاب أورو سيوس لم يكتبه اليها أحد من المسلمين ، الا بعد وصول هدية ملك الروم ، فكانت حافزا قويا على الترجمة ولدى تولية الحكم المستنصر فى سنة ٣٥٠/٩٦١ أمر بعض النصارى بترجمة هذا الكتاب الى العربية .
الكتاب ترجم اذن بعد سنة ٣٥٠ هـ ، ويبقى بعد ذلك أن نحدد شخصية المترجم أو المترجمين .

(٦٧) Isidorus Hispalensis صار مطرانا لاسبيلية فى سنة ٦٠١ وترأس مجمع طليطلة الدينى فى سنة ٦٣٣ وله عدة كتب أهمها الأصول Etymologiae وهو أثبه بنوسوعة علمية كبيرة ، كما أن له كتابا فى التاريخ حظيت بعناية المؤرخ مومسين وأهمها الحوليات Chronica
Diccionario tomo. II. 173 راجع :
(68) Simonet : op cit pp. 369-371.

فرشح — وغيرنا — لترجمة كتاب التواريخ لأوروسئوس واحداً (أو اثنين) من أربعة من قضاة النصرى ورجال دينهم ، هم حفص بن البر ، الوليد بن خيزران (أو حيزون) ، أصبغ بن عبد الله بن نبيل ، عبيد الله بن قاسم •

أما أولهم وهو حفص بن البر ، فهو من عائلة غيطشة Witiza ملك القوط الذى أعان ولده العرب ضد رذريق Rudericus مغتصب عرش أبيهم ، فأجازوهم ضياعهم الفسيحة فى أنحاء الأندلس و وعدتها ثلاثة آلاف ضيعة ، وولد غيطشة هؤلاء هم أرتباس Ardabasto ، المند Olemundo وقله Aquila (أو رمله Romulo) (٦٩) •

يهمنا فى هذا المقام وقله الذى داعبه الأمل فى استعادة ملك القوط فثار ضد العرب بمدينة طركونة Tarragona ، وحاصره المسلمون عدة سنوات الى أن استسلم على يدى عنبسة بن سحيم الكلبى ، والى الأندلس ١٠٣/٧٢١ — ١٠٧ — ٧٢٥ ، وانتقل الى طليطلة ، حيث استعرب ولده وأضحى حفيده البعيد حفص بن البر قاضيا للنصرى (٧٠) •

كان لحفص اسهامه الواضح فى ثقافة قومه من المستعربين ، فقد صنف كتباً فى العقائد ، استعان بها بعض النصرى فى محتاجاتهم المسلمين ، ويتضح من اقتباسات الامام القرطبى ، فى ردوده على هؤلاء

(٦٩) انظر ما ورد بشأن هؤلاء فى اخبار مجموعة ص ٧ — ٩ وفى ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس تحقيق ابراهيم الايبارى . القاهرة ، دار الكتب الاسلامية ، ١٩٨٢ ص ٢٩ — ٣٢ .

(70) Simonet : op cit. pp. 170-171.

أنه كن لحفص كتابين ، هما المسائل والحروف ، ويضيف القرطبي (٧١)
قائلا : « ان هذا القس الذي هو حفص ، هو من أكيسهم وأفصحهم ..
اذ كان قد نشأ فى ذمة المسلمين وتعلم من علومهم ما فاق به النصارى » .

اشتهر حفص أيضا بأنه نظم مزامير داود على بحر الرجز ،
والنسخة الوحيدة من هذه الأرجوزة ، محفوظة فى مكتبة أمبروسيو
بمدينة ميلانو (٧٢) . وفى المقدمة الشعرية للأرجوزة ، يوضح حفص
السبب فى نظمه للمزامير ، بأن الترجمات السابقة النثرية أفسدت
جمالها ، لذا جناح الى نظمها على بحر الرجز المشطور (٧٣) ، وهو بحر
مناسب ، يشبه البحور الأعجمية (اللاتينية) وبخاصة بحر ينبق (٧٤) .

نعود الى موضوعنا ونتساءل ، ما دام حفص قد برز فى علوم
النصرانية ، وفى اللغة العربية ، وفى الوقت نفسه شغل منصب قاضى
النصارى ، فهل هو القاضى الذى ترجم (أو شارك فى ترجمة) كتاب
أوروسيوس .

نستبعد أن يكون حفص هو هذا القاضى ، فمن تحليل القيمة العددية
للبيت رقم ١٢٨ من الأرجوزة ، يتضح أنه أنهى عمله فى سنة ٩٨٩ (٧٥)
من تاريخ الصفر وهو ما يعادل سنة ٩٥١ م (= ٣٣٩ - ٣٤٠ هـ) ،
واذا كان قريبه المسلم المؤرخ ابن القوطية (٧٦) قد توفى فى سنة ٣٦٧ /
٩٧٧ فإنه يكون معاصرا له .

(٧١) الاعلام . ص ٤٢٢ .

Ix Teologia Cristiana No. 86.

(٧٢) برقم

(٧٣) مستفعلن مستفعلن مستفعلن .

(٧٤) يقصد البحر السداسى أو اليامبى iambs .

(75) Dunlop, D. M : Hafa b. Albar . the last of the Goths. J. R.
A. S. 1954. pp. 147-148.

(٧٦) ووه حفيد بعيد لسارة ابنة المند بن غيطشة .

لكن ابن القوطية لدى ذكره حفصا لا يشير الى ترجمة قام بها
لكتاب أورو سيوس وكان قمينا به هذه الاشارة ، لأنه مؤرخ وأورو سيوس
أيضا مؤرخ •

أما وليد بن خيزران (أو حيزون) ويدعوه ابن خلدون بوليد بن
مغيث ، فيوجد خبر عنه في أحداث سنة ٣٥١/٩٦٢ ، لدى استقبال
الحكم المستنصر لأردون بن أذفونش^(٧٧) المنازع لابن عمه شانجه بن
رذمير ملك ليون^(٧٨) •

يقول ابن حيان^(٧٩) ان أردون أتى « وقد حفته جماعة من نصارى
وجوه الذمة بالأندلس يؤنسونه ويصرونه ، فيهم وليدبن خيزران
(حيزون) قاضى النصارى بقرطبة ، وعبيد الله بن قاسم مطران طليطلة
وغيرها » •

يستطرد ابن حيان^(٨٠) بعد عدة سطور ، فيقول ان أردون بعد أن
قبل — وصحبه — يد الخليفة « وصل بوصولهم وليد بن خيزران قاضى
النصارى بقرطبة فكان الترجمان عن الملك أردون ذلك اليوم » •

نشك في أن يكون ابن خيزران هو المترجم لكتاب أورو سيوس ،
فهو كما يبدو من السياق كان قاضيا للنصارى فى هذه السنة (٣٥١ هـ)
وربما ولى القضاء قبل ولاية المستنصر ، ولا نشهد اسمه مرة أخرى
فى الترجمة للبعوث ، ويترجح أن يكون الكتاب قد ترجم بعد سنوات
من تولية الحكم وليس بعيد توليته ، وينفرد ابن خلدون ، فيدعو هذا

(٧٧) اردونيو الرابع Drdono IV ٩٥٨ — ٩٦٠ •

(٧٨) سانتشو الأول Sancho I ٩٥٦ — ٩٦٦ •

(٧٩) المقرئ : المصدر نفسه ج ١ ص ٣٩٠ •

(٨٠) ص ٣٩١ •

القاضي بوليد بن مغيث ، وهو خطأ لم يكن ليقع فيه اذا كان هو مترجم
كتاب أورو سيوس •

أما أصبغ بن عبد الله بن نبيل وعبيد الله بن قاسم ، فتوجد
إشارتان إليهما في ابن حيان^(٨١) ، ففي أحداث سنة ٩٧١/٣٦٠ وافق
الحكم عدة سفارات من ملوك أسبانيا النهرانية وأمرائها ، ومنهم حلوية
Elvira ابنة رذمير ، حاضنة رذمير بن شابجه صاحب جليقية^(٨٢)
« وتوصل مع العجم من كبار نصارى قرطبة ، قاضيهم أصبغ بن نبيل ،
وأسقفهم عيسى بن المنصور ، وقومسهم معاوية بن لب ، ومطران
إشبيلية عبيد الله بن قاسم ، يترجمون عنهم ولهم ففهم الخليفة ما أدوه
عن مرسلهم ، وأجمل الرد عليهم فانطلقوا لسبيلهم » •

هناك نص آخر^(٨٣) أهم من هذا النص ، فقد عاود الحكم رسل
حلوية في سنة ٩٧٣/٣٦٣ • يقول ابن حيان « وتوصل إليه بعدهم
رسل حلوية عمة الطاغية أمير جليقية وكافلته ، فتكلموا عن مرسلتهم
بكلام بدا فيه بعض الجفاء ، ترجمه نسا عنهم أصبغ بن عبد الله بن
نبيل ، قاضي النصاري بقرطبة المتولى ذلك عن الأعاجم ، أنكره الخليفة
لوقتته ، فازور للمترجم ونهره ، وأمر بتأخير الرسل عنه ، ونالهم ببعض
التوبيخ ، وألزم أصبغ المترجم ذنبه ، وأمر باقصائه وعزله عن قضاء
النصاري واهانتهم ، وتعريف الرسل بسوء ما أداه عنهم • فقعد لهم
صاحب الخيل زياد بن أفلح في بيته بدار الجند ، وعركهم وعرفهم أنه
لولا احتجازهم بذمة الرسالة ، لعوجلوا بالعقوبة ، وخص المترجم أصبغ
الملامة ، لأقدامه على ما أقدم عليه من سوء المخاطبة ، وخصه بأشد

(٨١) المقتبس . قطعة من عهد الحكم المستنصر . تحقيق عبد الرحمن
الحجى . بيروت دار الثقافة ١٩٦٥ . ص ٦٤ .

(٨٢) راميرو الثالث Ramiro III ٩٦٦ - ٩٨٤ وكان صغير
السن وتولت عمته الراهبة البيرا الوصاية عليه .

(٨٣) المصدر نفسه ص ١٤٦ - ١٤٧ .

الوعيد ، وعرفه بما كان قد هم به أمير المؤمنين فيه ، من غليظ العقاب والتشديد ، لتركه تأديب هؤلاء الأعلام ، وتثقيف ما يلقونه اليه من كلامهم ، اذ كان المقلد ذلك منهم ومن أمثالهم من رسل الطواغيث لولا ما أعقبه من الصفح عنه ، ونفذ العهد الى أحمد بن عروس الموروى المتفقه بالخروج الى جليقية ، رسولا الى العلجة حلوية ، مع رسلها المنقلبين عن قرطبة وضم اليه عبيد الله بن قاسم المطران المترجم ، فخرجا مع الرسل الصادرين عنها ، فى عقب صفر المؤرخ ، وكان محمد ابن مطرف يومئذ بناحية الغرب ، فخطوب يؤمر بالدخول معهما •

نخرج من هذين النصين بالآتى :

١ — كان أصبغ بن عبد الله بن نبيل قاضيا للنصارى فى الفترة من سنة ٣٦٠ الى سنة ٣٦٣ ، وربما يعود تولية القضاء الى تاريخ أقدم^(٨٤) ، وزاول الترجمة ، عندما كان يصدر له تكليف بذلك ، وأن وردت الاشارة الى ذلك مرتين فقط •

٣ — وأثبت براعة فى الترجمة وأمانة ، جعلته ينقل عن لسان سفراء حلوية ما لا يجوز نقله ، لدرجة كادت تودى بحياته وأفقدته منصبه •

٣ — وعاصر أصبغ هذا نصرانى آخر هو عبيد الله بن قاسم الذى كان مطرانا لطليطلة فى سنة ٣٥١ هـ ، ثم نجده مطرانا لاشبيلية فى سنة ٣٦٠ كما كان مطرانا (دون تحديد لاسم مطرانيته) فى سنة ٣٦٣ ، وربما استمر مطرانا سنوات أخرى تالية •

(٨٤) لم يصلنا من مقتبس ابن حيان — فيما يختص بالحكم المستنصر — سو اخبار خمس سنوات ٣٦٠ — ٣٦٥ وبعض هذه السنوات غير كاملة ، وربما ورد فيها ضاع من أوراق هذا المؤرخ الكبير ما يفيدنا فى التعرف على قضاة النصارى وقساوستهم فى عهد الخليفة المذكور .

٤ — وتوجد ثلاث اشارات الى دوره فى الترجمة للدولة ، آخرها انه صاحب رسل حلوية فى سنة ٣٦٣ فى رحلتهم الى بلادهم موفدا من قبل الخليفة الحكم •

٥ — ولا يبعد أنه كان على احاطة بتراث موطنه الاشبيلي القديس ايسيدور ذى الشهرة الفائقة فى أنحاء اسبانيا وأوربا ، وترجمت بعض كتبه الى العربية^(٨٥) ، والجزء الأخير من كتاب أوريوس فيه نقول عنه على الأرجح ، وان لم تكن وصلتنا^(٨٦) •

٦ — الاثنان معا — أصبغ بن نبيل وعبيد الله بن قاسم — يجيدان اللغتين العربية واللاتينية ، ويجيدان أيضا الترجمة من احدهما الى الأخرى ، ومقربان الى الخليفة وموضعا لثقتهم ، ويرتبط ذكر الواحد منهما بالآخر ، واذا كانا يتعاونان فى الترجمة فى المهام الرسمية ، فمن الممكن أن يتعاونوا فى الترجمة فى مهام أخرى •

نرجح أن الترجمة من عمل أحد اثنين أصبغ بن عبد الله بن نبيل أو عبيد الله بن قاسم أو هما معا ، واذا كان نص ابن خلدون يشير الى شخص يدعى قاسم بن أصبغ فلا توجد فى مصادرنا — عربية ولاتينية — قاض نصرانى بهذا الاسم ، ونرجح أن الأمر اختلط عليه — وهو يكتب بعد فترة طويلة — فأتى باسم يجمع بين الاثنين ويتطابق فى الوقت

(٨٥) هناك دلائل على أن كتاب الأصول لايسيدور ترجم الى العربية
حوالى منتصف القرن الرابع الهجرى van koningsveld : op sit p. 60.

(٨٦) طببعة الحال فان المترجم النصرانى — خصوصا اذا ما كان اشبيليا — يصير أعرف بكتب ايسيدور من غيره من المسلمين •

نفسه مع اسم اندلسى مسلم جليل ، تواصلت شهرته الى زمانه ، وكان خاضرا فى ذهنه وهو يكتب هذا النص •

ويحل ذلك مشكلة حرف الواو التى يذكرها الباحث الهولندى ، ففى حال حذفها يترجح المترجم فى أحدهما ، وفى حال اثباتها — ويغلب انها كذلك — يترجح أن الترجمة من عملهما معا ، وفى ذلك تفسير لنص ابن خلدون الآخر الذى يقرر أن الترجمة من عمل الاثنين •

أما عن كونهما مسلمين ، فإن هذا النص تفصله عن النص الأول صفحات كثيرة ربما جعلت ابن خلدون ينسى ما ذكره أولا ، ثم انه الى جانب ذلك غير دقيق فى تاريخه دقته فى مقدمته ، والاضافة الأساسية فى تاريخه هذا ما كتبه عن المغرب والبربر على نحو خاص ، وهو ينسب الى أروسيوس أخبارا لا نجدوها فى الترجمة الأندلسية ولا فى النص الأصلي •

(7)

ننتهى فى هذا البحث الى الآتى :

شهدت الأندلس نهضة فكرية عظيمة فى القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — بتوجيه من الخليفتين العظيمين عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر شارك فيهما نصارى الأندلس المستعربون ، ونقلوا الى اللغة العربية ، التى أضحت على نحو أساسى لغتهم ، ما يهمهم من كتب دينية ، وما يهمهم ويهم المسلمين فى الوقت نفسه من كتب فى مجالات أخرى •

وكان كتاب باولوس أروسيوس فى التاريخ ، أحد هذه الكتب التى ترجمت الى اللغة العربية حوالى سنة ٣٦٠ هـ ، واحتفظت الترجمة

العربية بطابع دينى واضح يتناسب مع روح التسامح السائدة فى ذلك الوقت ، بل ان المترجم النصرانى ، أضاف الى النص الأسمى نقولا من كتاب كنسيين قدامى ، ومن كتاب كنسيين عاصروا حكم القوط •

ويترجح أن هذه الترجمة من عمل القاضى أصبغ بن عبد الله بن نبيل أو المطران عبيد الله بن قاسم أو هما معا •

ولا نستطيع أن ننتقل من الترجيح الى القطع ، الا بتوصلنا الى نسخة أخرى عربية من هذا الكتاب •

